جميع الحقوق محفوظة
لدار طلاس للدراسات والترجمة والنشر

الطبعة الأولى
١٩٨٧

الدكتور سامي عوض

ابن هشام النحوي

٧٠٨-٧٦١ هـ

عصره . بيئته . فكره . مؤلفاته .
منهجه ومكانته في النحو

الآراء الواردة في كتب الدار تعبر عن فكر مؤلفيها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

الإهـداء

إلى الشجرة التي في ظلها تفيّأت ، ومن ثمارها طعمت ...
إلى الأحضان الرحبة الحنونة ... والقلوب العامرة بالودّ والحب والتضحية والعطاء .
إلى والديَّ وإخوتي أهدي نتاجي هذا ... وفاءً وعرفاناً وتقديراً وحبّاً وحناناً وبَرّاً .

سامي

تمهيد

يتناولُ البحثُ شخصيَّةً هامّةً في تاريخ الفكْر العربيّ ، فقد قُدّر لها أن تحيا في عصر مُتأخِّر «٧٠٨ ــ ٧٦١ هـ» وفي بيئةٍ أُتيح لها أن ترث البيئات الإسلاميّة المتقدّمة كما أنّ حياته في عصر مُتَأخّر ، وفي البيئة المصريّةِ التي تميّزت في عهدِ المماليك بِمُمَيّزاتٍ خاصَّةٍ : حضاريّة وثقافيّة كل ذلك ظهر أثره في إنتاجه ومؤلفاتهِ .

وقد بدأتُ الحديث عن عصره . والحديثُ عن العصر يستلزم توضيحَ إطاره السياسيّ والاجتماعيّ .

فالحياة العقليّة ترتبط بالإطارين : السياسيّ والاجتماعيّ ارتباطاً وثيقاً تتأثر بهما ، وتُؤَثّر فيهما ، ولا يمكننا تفسير بعض

الظواهر الثقافيّة إلّا إذا رددناها إلى المؤثرات السياسيّة والاجتماعيّة .

ثم تناولتُ الحياة الثقافيّة في مصر في العهد المملوكيّ حيث أصبحتْ مصر ميداناً لنشاط علميٍّ واسع ، ونشرت القاهرة زعامتها وقيادتها العلميّة على البلاد الإسلاميّة زهاء هذه القرون الثلاثة ، إذ شدّ علماءُ العربيّة ومفكّروها من الشرق والغرب إليها الرّحال ، وزاد من أهمّية مصر وجود الأزهر الشريف بها ، وكان لِهذا المعهد الكبير دورٌ بارزٌ في نشر العلم والمعرفة ، وأضحت القاهرة في هذا العصر منارةً للعلم ، وموئل العلماء والمتأدبين يأتون إليها من كلّ حدبٍ وصوب ينهلون من معينها الذي لا ينضب .

وعرضت أهمّ النحاة البارزين في العصر المملوكيّ ، وذكرتُ أهمّ مصنّفاتهم ومؤلفاتهم ، وبيّنتُ أنّ الذي هيّأ القاهرة لتتبوّأ هذه المكانة العلميّة وجود العديد من الجوامع والمدارس والخوانق والزوايا ، سواءٌ تلك التي كانت موجودة أو التي بناها المماليك .

ثم تحدّثت عن المدرسة المصريّة في النحو بَدْءاً من «عبد

الرّحمن بن هرمز» حتى العصر الحديث ، ثم لخّصتُ خصائص المدرسة المصريّة في النحو . وإنْ كنتُ قد أسهبت في الحديث عن العصر من جوانبه السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة ، إذ لا بدّ أنْ نستجليَ الصورة العامّة للعصر من جوانبها كلّها ، حتى نكوّنَ صورة واضحة عن معالم شخصيَّة المؤلف ، وفكره وطابعه العقليّ .

وقد وجدْت من الضروريّ أنْ أعرض أهمّ الكتب التي سبقت كتاب مغني اللبيب في هذا النوع من التأليف «الحروف والأدوات» ، وعقدْتُ مقارنةً بين ما ورد في هذه الكتب ، وبخاصّةٍ الجنى الدّاني ، وما ورد في المغني حيث نجد تشابهاً كبيراً في ذكر المفردات ، وتفسيرها ، وأحكامها وفي تقسيم معاني الأدوات وترتيبها ، كما نجد تقارُباً واضحاً في توجيه بعض الأحكام النحويّة ، والظواهر اللغويّة ، وتعليلها ، وشرحها ، واتفاقاً في كثير من الشواهد القرآنيّة والشعريّة التي توضح هذه الظواهر والأحكام ،

ممّا يجعلنا نعتقد جازمين أنّ ابن هشام استفاد من هذه الكتب جميعاً وإنْ لم يشر هو إلى ذلك .

وتحدّثْتُ عن منهج ابن هشام في النحو وبخاصّة كتابه مغني اللّبيب ، فعرضتُ أولاً للأصول النحويّة عند ابن هشام ، حيث يمكن اعتبار المغني الجامع لذخيرةٍ علميّة عريضةٍ اهتمّت بتلخيص آراء النحويين من المذاهب النحويّة السابقة ، دون أن يكون مقلّداً لمذهبٍ من المذاهب ، أو حاكياً للآراء السابقة ، فلم يكُن اتّصال ابن هشام بالتراث النحويّ الضّخم الذي خلفه السابقون اتّصال من يريد أنْ يعيه ويستوعبَه فقط ، ولٰكنّه أيضاً اتّصال من يريد أن يضيف شيئاً جديداً ، فقد كان مذهبه يقوم على أساس المزج والاختيار من المذاهب السابقة كلّها مع ميلٍ واضحٍ إلى الحياد والموازنة بين الآراء ، وجنوح شديد إلى الاجتهاد والتجديد ، ثم تحدّثتُ عن منهجه في النحو وبخاصّة كتابه مغني اللّبيب ـــ وبيّنتُ طريقتَه في عرض الأدوات ، وشرح معانيها المختلفة ، وطرق استخدامها ووظائفها ، وأحكامها الإعرابيّة ، وذكرتُ أنّ أهمّ

ما يُميّز منهجه عنايته بالعلاقة القائمة بين الأداة ، والمعنى العام الذي جاء به نصّ وردت فيه هذه الأداة ، وخلصت إلى أنّ ابن هشام يعدّ من اللّغويين العرب الذين ظلوا محتفظين بأصالتهم ... متشبّثين بثقافتهم اللّغويّة والنحويّة التي استمدّت أصولها من ينابيع عربيّة تمثّلت في القرآن والسنّة ، وعلم الكلام مع الاستفادة من أسلوب المنطق الأرسطي في الحوار والمناقشة ، وأشرتُ إلى بعض القضايا الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والظواهر اللّهجيّة التي عرض لها في كتابه المغني ، ثم لخصتُ النتائج التي تميّز عمل ابن هشام في كتابه المذكور ، ثم تناولتُ شُرّاح كتاب مغني اللّبيب ، حيث كان هذا الكتاب هو الشغل الشاغل لنفر من عُلماء اللُّغة والنحو ، وهم من الطبقة التي تلتْ ابن هشام ، وتأثّرت بهذا المصنّف ، وشغلت السنوات الطوال بدراسته وتدريسه وشرحه ، فحظي بالكثير من العناية والاهتمام .

ويأتي في مقدّمة هؤلاء الشُّرّاح : «بدر الدين الدّماميني» ، وذكرتُ أنّ شروحه للمغني قد بلغت ثلاثة شروح ،